بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ:22/02/2008 الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

((سلسة قوانين القرآن))

((سنن الله في الحياة الطيبة))

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله،أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره،اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فنحن جميعاً عما قريب ماضون إلى دار لا درهم فيها ولا دينار لا ينفع فيها مال ولا بنون ليس هنا إلا الحسنات والسيئات، وإنه من عمل الحسنة كوفئ بها ومن عمل السيئات جوزي عليها وإن القاضي بصير وهو لا يحابي ولا يماري ولا يميل لقوم دون قوم فقدموا لأنفسكم

إنه من ﴿ ooيَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾[الزلزلة]

ثم أستفتح بالذي هو خير يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل :

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) ﴾[آل عمران]

وقال الله تعالى : ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43) ﴾[فاطر]

نحن في الخطبة التاسعة من سلسلة السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن .

يا أيها الأخوة في القرآن قوانين فيه قرارات فيه نواميس تحكم الكون لا تتغير ولا تتبدل ولا تحابي ولا تماري من فعل مقدماتها نال نتائجها ومن خالف مقدماتها خالفته نتائجها .

قوانين الله تعالى عامة لا تتغير ونحن إذا قرأنا قوانين القرآن سعدنا وسعد بنا من حولنا وإذا هجرنا قوانين القرآن وإذا تلونا القرآن دون فهم لأوامره ونواهيه فنحن على غير ما أراد الله تعالى منا لذلك كانت هذه السلسلة من الخطب .

تحدثنا لماذا هذه السلسلة ، وتكلمنا عن السنن الإلهية في التغيير، وعن السنن الإلهية في النصر ، وعن السنن الإلهية في الابتلاء , وعن السنن الإلهية في الهداية والضلال ، وعن السنن الإلهية في الإيمان والعمل الصالح ، وعن السنن الإلهية في الذنوب والسيئات ،والأسبوع الماضي كان الحديث عن السنن الإلهية في الظلم والظالمين .....

وعنوان الخطبة اليوم : **السنن الإلهية في الحياة الطيبة والمعيشة الضنك .**

أيها الإخوة ما من إنسان على وجه البسيطة إلا ويبحث عن الحياة الطيبة ويفر من المعيشة الضنك , الكتاب والمفكرون , الفلاسفة والمكتشفون , البحاثة والمخترعون , رجال الأعمال ورجال الأموال, رجال السلطة كلهم يبحثون فيما وصلوا إليه عن الحياة الطيبة ويفرون من المعيشة الضنك .

ذهب قوم نحو الشرق وذهب أناس نحو الغرب صعد أقوام للفضاء ونزل آخرون إلى أعماق المحيطات والكل يبحث عن الحياة الطيبة ويفر من المعيشة الضنك .

هل الراحة في رأس المال ؟ هل السعة في تملك أدوات الإنتاج ؟ هل الطمأنينة في معاقرة الخمرة ؟ هل السكينة في معاشرة المرأة ؟ هل الحياة الطيبة في الديمقراطية ؟ أم أنها في الديكتاتورية ؟ هل هي في عالم المادة ؟ أم هي في عالم الروح ؟ هل هي في الدين ؟ أم أن الدين أفيون الشعوب ؟ هل هي في الأمن الغذائي ؟ أم في الأمن العسكري ؟ أم في أمن البيئة ؟ أم في أمن الاتصالات ؟؟؟؟

والناس يكتبون الأبحاث ويلقون المحاضرات ويعقدون الندوات ويديرون الدورات عن السعادة وعن الطمأنينة عن الفاعلية وعن الحياة الطيبة ويحذرون الناس من الشدة النفسية من الستريس ومن الضغط النفسي ومن ارتفاع التوتر ومن السكتات الدماغية ومن الانفعالات الشديدة ....

ومع كل هذا تزداد في العلم الحروب ويزداد في العالم الفقر ويزداد عدد القتلى ويزداد الانتحار وتغص المصحات النفسية بالمرضى والجريمة صارت عالماً والانحراف صار فناً .

إذاً أين الحياة الطيبة ؟ وكيف الخلاص من المعيشة الضنك ؟

يا أيها الإخوة والله إنه لا يحيط بكل الناس إلا رب الناس، وإنه ليس أعلم بالخلق من خالقهم، وإنك لن تجد أصدق من الله حديثاً، وربنا جل جلاله وضع في قرآنه قانون الحياة الطيبة وقانون المعيشة الضنك من مشى عليهما نال نتائجهما وهذان القانونان هما محور هذه الخطبة .

أولاً: قانون الحياة الطيبة جاء هذا القانون في الآية 97 من سورة النحل:

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) ﴾[النحل]

فالقانون يقول: إيمان + عمل صالح = حياة طيبة .

الآية تقول: من عمل، هذه ال(من) أداة شرط وهي تفيد عند المفسرين العموم، أي كل الذين يعملون فقراء كانوا أم أغنياء، متزوجين كانوا أو غير متزوجين، أصحاب سلطة كانوا أو بدون

سلطة، رجالاً كانوا أو نساء، ً إذا عملوا عملاً صالحاً مع الإيمان فلهم الحياة الطيبة فمن هذه تفيد عموم الأشخاص.

ثم الآية تقول: عمل، والعمل في اللغة متكرر أما الفعل فغير متكرر، فالآية تقول: (من عمل) أي من كرر الأعمال الصالحة .

ثم تقول الآية: (صالحاً)، وكلمة (صالح) جاءت نكرة، واللغويون يقولون: النكرة في سياق الشرط تفيد العموم، سبق هذه النكرة شرط قال: (من عمل صالحاً)، من للشرط وصالحاً نكرة، النكرة في سياق الشرط تعم يعني: عموم الأعمال الصالحات .

الطبيب الذي يرعى مرضاه كما ينبغي رعايتهم ويرأف بحالهم المادي عمل صالحاً ،التاجر الذي يرحم عباد الله ولا يغالي بالأسعار عمل صالحاً ، الطالب الذي يدرس بجد عمل صالحاً، الأب الذي يسهر على تربية أولاده وفق ضوابط الشرع عمل صالحاً ، الموظف الذي يؤدي ما عليه عمل صالحاً ، القاضي الذي لا يجور في أحكامه عمل صالحاً ، الزوج الذي يحترم زوجته عمل صالحاً ، الزوجة التي تطيع زوجها عملت صالحاً ، المرء الذي يتقن صلاته عمل صالحاً ، الجار الذي يحسن إلى جاره عمل صالحاً ..وهكذا بإمكانك أن تتذكر من العمل الصالح ما تتذكر لأن الآية تقول من عمل صالحاً عموم الأشخاص وعموم الأعمال الصالحات ثم تقول الآية من ذكر أو أنثى في تأكيد لعموم من في مطلع الآية .

الآن يقول الله تعالى ﴿ ٥ فَلَنُحْيِيَنَّهُ٥(97) ﴾ [النحل] هذه (الفاء) يسمونها رابطة لجواب الشرط وهي تفيد التأكيد، ثم بعدها اللام (لنحيينه) يسمونها الموطئة للقسم، يعني في الآية قسم مخفي يعني الله يقول لكم: والله لنحيينه حياة طيبة هل تصدقون الله يحلف لنا يا قوم، يا عبادي إذا عملتم الصالحات وأنتم مؤمنين والله لأحيينكم حياة طيبة والقسم للتأكيد .

وفي آخر الفعل (نحيينه) نون للتوكيد تسمى نون التوكيد الثقيلة .

ثلاث مؤكدات في هذه الكلمة يؤكد الله تعالى لنا أن من عمل صالحاً وهو مؤمن فله الحياة الطيبة والضامن لهذه النتيجة هو رب العالمين .

ثم الآية تقول ﴿ o حياة طيبةo(97) ﴾ [النحل]

قال المفسرون في معنى الحياة الطيبة: الرزق الطيب، وقالوا: القناعة، وقالوا: الاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الحق، وقالوا: توفيقه إلى الطاعات، وقالوا: الانشراح في الطاعة، وقالوا: الرضا والاطمئنان, وقالوا: الشعور بالسعادة وطيب العيش، وقالوا: المعرفة بالله هي الحياة الطيبة .

وقال سهل التستري: هي أن ينزع عن العبد تدبيره ويرد تدبيره إلى الله يصير الله هو مدبر أمورك هو مدير أعمالك هو الذي يسيرك حيث لك التوفيق والسعادة .

جاء في تفسير الظلال: إن العمل الصالح جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض ولا يهم أن تكون نعيمة رغدة ثرية بالمال فقد تكون به وقد لا تكون وقد لا يكون معها ، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية فيها الاتصال بالله والثقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه فيها الصحة والهدوء فيها الرضا والبركة فيها سكن البيوت ومودة القلوب فيها الفرح بالعمل الصالح وبآثاره في الضمير وآثاره في الحياة وليس المال إلا عنصراً واحداً يكفي منه القليل حين يتصل القلب بما أعظم وأزكى وأبقى عند الله .

﴿ ooفلنحيينه حياة طيبةoo(97) ﴾ [النحل] .

ثم تقول الآية: ﴿ oo وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) ﴾ [النحل] يعني في الآخرة، في دلالة واضحة أن الحياة الطيبة تكون في الدنيا ثم يأتي الجزاء الأحسن والأكبر و الأبقى في الآخرة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً يُعْطَى عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا ، وَيُثَابُ عَلَيْهَا فِي الآخِرَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُعْطِيهِ حَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُعْطَى بِهَا خَيْرًا.)) [مسلم و ابن حبان]

فيا أيها الأخوة ويا أيتها الأخوات يا أيها الشباب يا من تبحثون عن الحياة الطيبة وأنتم في بداية أعماركم أو في منتصفها أو في آخرها يا من تبحثون عن الذرية الطيبة عن النفقة الطيبة عن الزوجة الطيبة عن الكلمة الطيبة عن الزوج الطيب عن المسكن الطيب عن الرزق الطيب عن الدنيا الطيبة عن الآخرة الطيبة ....

عليكم مع الإيمان بعمل الصالحات فإذا ضمنتم لله تعالى المقدمات ضمن الله تعالى لكم النتائج لأن **القانون يقول : إيمان + عمل صالح = حياة طيبة .**

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً(97) ﴾ [النحل]

هذا هو قانون الحياة الطيبة.

الآن بالعكس **قانون المعيشة الضنك** :

بداية فسروا الضنك في المنازل والمعايش والأماكن بالشديد والضيق، مسكن ضنك يعني ضيق يعني شديد على أهله، عيشة ضنك يعني عيشة شديدة، وفسروها بالشقاء، وفسروها بالحرام. معيشة ضنك أي معيشة مليئة بالحرام، وفسروها بالكسب الخبيث، وقالوا: معيشة ضنك هي الرزق من المعاصي، وقالوا: هي المعيشة التي ملئت بالحرام، وقالوا: هي عذاب القبر، وقالوا: هي عذاب الدنيا والآخرة، وقالوا: المعيشة الضنك هي التي لا قناعة فيها فصاحبها يركض ولا يشبع، وقالوا: هي النكد، وقالوا: هي المال الذي لا يتق الله صاحبه فيه .

وقانون المعيشة الضنك جاء في الآية 127 من سورة طه قال الله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ٥٥ (124) ﴾[طه] وصاحب القانون هو الله، والذي قرر هذا القرار هو الله، فليذهب أين شاء، فليمتلك ما شاء، فليأكل ما شاء، فليبلغ من رتب العلم ما شاء، فليتزوج من شاء، فليطلق من شاء .

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا -أي فتركتها- وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) ﴾[طه] يعني سنتركك في ظلمات يوم القيامة وفي ظلمات النار , ومعنى ذكري في الآية ﴿ ومن أعرض عن ذكري ﴾ أي من أعرض عن تعاليمي وعن العمل بما في كتابي.

فمن باع الناس معلبات انتهت مدة صلاحيتها وغير هذه المدة بطريقة ما فقد أعرض عن قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ٥٥ (188) ﴾[البقرة] ومن خرجت من بيتها سافرة متبرجة متزينة للرجال في الطريق فقد أعرضت عن قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ٥ (59) ﴾[الأحزاب]

ومن راح من الرجال والشباب ينظر بالسر والعلن إلى عورات النساء في الطرقات أو في الفضائيات فقد أعرض عن قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ٥٥(30) ﴾[النور] .

ومن باع أرضاً وكتب عقداً وأشهد مع الله شهوداً وقبض رعبون وبعد أيام وعد المشتري بالتسليم ثم جاءه مشتر ثان قبل التسليم فدفع له مبلغ أكبر فنكل في بيعه الأول لقاء هذه الزيادة فقد أعرض عن قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ٥٥ (1) ﴾[المائدة] كتبت عقداً وأشهدت الله وأشهدت الناس ثم نكلت .

ومن تقاضى رشوة من خصم ليحكم له بالباطل على خصمه فقد أعرض عن قول الله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّـهَ يَـأْمُرُكُمْ أَنْ تُـؤَدُّوا الْأَمَانَـاتِ إِلَى أَهْلِهَـا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّـاسِ أَنْ تَحْكُمُـوا بِالْعَـدْلِ ۝ (58) ﴾[النساء]

ومن شرب الخمر أو البيرة أو أي شيء أسكر قليله أو كثيره فقد أعرض عن قول الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ۝ (90) ﴾[المائدة]

ومن ترك الصلاة أو تلاعب بالزكاة فقد أعرض عن قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۝ (43) ﴾[البقرة]

والقرار صدر منذ أن نزل هذا القرآن﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ۝ (124) ﴾[طه].

وهكذا يا أيها الإخوة فإن الإعراض عن تعاليم القرآن وعن ذكر الله تعالى يؤدي إلى العيش الصعب، **فالقانون يقول هجر تعاليم القرآن يؤدي إلى المعيشة الضنك** .

قال أحد العارفين : لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه وكان في عيشه ضنك .

وقال الشبلي : أهل البلاء هم أهل الغفلة عن الله تعالى , فعقوبتهم أن يردهم الله تعالى إلى أنفسهم وأي عيشة أضيق وأشد من أن يرد الإنسان إلى تدبيره .

وقالوا : ما أعرض أحد عن آيات الله إلا عذب قلبه بذل الحجاب وسد الباب .

وقال سيدنا علي : من لم يعرف الله في الدنيا لا يعرفه في الآخرة .

فيا أيها الإخوة هذه نواميس القرآن الكريم وهذه قوانين الله تعالى التي أنزلها في القرآن وهذه سننه التي أرسلها إلينا

هذا قانونه في الحياة الطيبة : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً(97)﴾ [النحل]

وهذا قانونه في المعيشة الضنك : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا (124)﴾ [طه].

فتعالوا نبذل الأسباب لنأخذ نتائجها

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)﴾ [التوبة]

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.